

# لالة اليتيمة



◆ محسن عبدالرحمن

في الطبيعة التي لفت نفسها بوشاح من الخضرة، كانت سنايل القمح في نهاية المزرعة كشعرها تتماوج، بينما أمواج الزاب تتدافع لتتكسر على الصخور وتتلاشى. كالطبيعة التي كانها تقول: في كل سنة بالمطر والثلج من ذنوبكم اغتسل وابعث نفسي من جديد، المتوحشون من جنس وفصيلة واحدة لا يأكل بعضهم لحم بعض!! بكل الألوان كانت العروس قد أتمت زينتها ورأسها على صدره في حلم بنفسي، بينما الأحاسيس للغرائز مستسلمة، رغبة الحياة، شوق الحب ورائحة المطر كانت تثير أنوثتها أكثر فأكثر، إثارة ذوبان الثلج لأمواج الزاب، لحظات السعادة نفقدها بسهولة و نضيع الأحبة في زحام الحياة، ننساهم حتى نصبح ذات يوم منسيين أيضا، ندور في فلك قابيل، عندما يبحث المرء عن حجج واهية لخداع نفسه، فهي أكثر من المقاهي و المساجد في مدينتنا. ذراعها التفت حول عنقه و التحمت بصدره، البارحة حنان الأم واليوم طمانينة صدر العريس اللذين فقدتهم في لحظة نحس خارجة عن دائرة الزمان و المكان من التاريخ المنسي لهذا الوطن الجريح.

مرة دفء الربيع ومرة صدر الحبيب كانت تمدها بالحوية و الأمل و مرة دموع اللالة على صدر أمها في ليلة خريفية كانت تلسعها، لا تعرف أتستكثر على نفسها الفرحة، أم هو خداع البصر أم كابوس جاثم على صدرها الناهد، بينما كان التلقين يقرأ على شمس ذلك اليوم و تلك الهوة الشاسعة بين السنين بحبل سري يغذي بعضه بعضا، في محاولة يائسة للوصول إلى بر

الإنسانية المجاز رسمياً منذ أمد بعيد أفسدت.  
على صدى رصاصة عنكبوتية أدارت رأسها  
بوجه شاحب، لتخترق صدره ولتصيب حياتها  
بأكملها، رأس اللالة ثانية على صدرٍ تتدفق دماً  
دافئاً قانياً... كما البارحة وحيدة صرخت، بكت...  
و بصوت مختنق: أمي لاتركيني، حبيبي لا  
تتركني.

بهلع وجنون يديها احتضنت رأسه المتمايل  
على كتفيه، لم تتحمل تصور أن أصابع السر ثانية  
سيجرها من الجداول الكستنائية، البارحة رصاصة  
انفاجي واليوم مناضل قومي تركوا اللالة زهرة  
في روضة مباحة.

الآمان، لسان المزمار في حنجرتها أصبحت نقطة  
تفتيش...، في صحراء عرعر ليسرّب ظلهاها إلى  
الأحشاء، بينما نسيم مضيق بالندا يرقص  
الأشجار في ملتقى الزاب ب (روى شين) في  
النقطة الأخرى كان شهد الشفاه يختلط، عندما  
انفلتت رصاصة جاهلة من ضمير مشلول، لتجعل  
من الغد متمم البارحة، و ربيع الروضة سراب،  
مجففة منابع الأمل.

تلك الذكرى في لاوعياها صدى ناقوس يتردد  
في وادي ذاكرتها المنهكة، قبل سنين ثمان... و في  
ليلة ليلاء تحت صخرة على ساحل نهر...، من  
الخوف والبرد التصقت بصدر أمها، بينما كانت  
السماء تمطر غضباً ومن الأرض ينبع حقد يمانى.

ما زال صدى  
ضربات القلب يتردد  
في أذنيها، للخلاص  
تبحث عن طريق و كل  
خوف العالم طيف شبح  
بدوي مؤمن يجر وراءه  
أحلام السبي...

الإحساس بكل  
شيء بتر إلا الأولياء و  
الصالحين و المشايخ و  
المزارات اللذين تخلوا  
عن مهامهم، صارخين:  
كنا كذبة كبيرة،  
كذبتموها على أنفسكم،  
سيف الحقيقة اصدق  
من الكتب ( في حده  
الحد بين الجد و  
اللعب...)

بهجة الربيع  
وسعادة العروسة،  
بخميرة ضمير

